

برنامج الفقر الريفي والبيئة



مكافحة التصحر ومكافحة الفقر حرب واحدة



رينو دي بلان

التدهور البيئي في
المناطق شبه القاحلة في
بوركينافاسو.

لا تزال شعوب المنطقة الشاسعة الممتدة بعرض أفريقيا بموازاة الحافة الجنوبية للصحراء الكبرى، والتي تعرف بالساحل الأفريقي، تجاهد من أجل التعافي من مضاعفات الجفاف الشديد الذي أصاب المنطقة منذ عام ١٩٧٣، والذي أدى إلى تشتيت القوى الدافعة للتنمية الاجتماعية والاقتصادية في كل من بوركينافاسو ومالي وموريتانيا والنيجر والسنغال. ويقول باحثون بمعهد الأبحاث البيئية والزراعية في بوركينافاسو "إن الرجال والنساء في المناطق الريفية يكافحون الآن من أجل البقاء في أرض أصابها الإجهاد والجفاف وعوامل التعرية واجتاحتها الرياح والمياه".

وكان المركز بالطبع هو من استضاف هذه الورشة، لأنه، حسب قول بوتاريه "كان يرأس اللجنة العلمية للاتفاقية الدولية لمكافحة التصحر".

ريفي
بلدان

مراحل الحملة

يوضح إنوسون بوتاريه أن عملية مكافحة التصحر في الساحل الأفريقي قد شهدت ثلاثة أنواع رئيسية من التدخلات. تمثل النوع الأول في استخدام الأساليب التقنية واشتمل على برامج مهمة لإعادة زراعة الغابات وإنشاء قنوات وسدود لاحتجاز فائض المياه وحماية التربة من التآكل. ولكن، في الغالب كانت هذه الأساليب غير مناسبة لمنطقة الساحل الأفريقي ولم يأخذ بها السكان أو المؤسسات المحلية.

أما النوع الثاني من التدخلات فغلب عليه الطابع الاجتماعي الاقتصادي. ويقول بوتاريه "بعد قمة ريو عام ١٩٩٢، كان من الواضح ضرورة إشراك الأهالي والنساء والمجتمع المدني". وقد أدى التشجيع على المشاركة الجماعية والتشاور وحشد الجهود والتعاون إلى حدوث النوع الثالث من التدخلات: والذي تركز على وضع "خطط عمل وطنية لمكافحة التصحر" (NAPCDs).

ورغم ذلك، وبمجرد أن أطلق بلدان الساحل الأفريقي أخيراً حملة متكاملة ضد التصحر، طالبت الجهات المانحة، التي أصرت على وجود منهج "الخطط" بإعطاء الأولوية لمكافحة الفقر. وقد مهدت "الخطط" الطريق أمام إجراء "أبحاث استراتيجية للحد من الفقر" وإعداد "أطر عمل استراتيجية لمكافحة التصحر"، وعندما وجدت الحكومات أن تبني "أطر العمل" قد يعني تخفيف عبء الدين بشكل كبير، وضعت تلك الحكومات مسألة الحد من الفقر على قائمة أولوياتها الجديدة، وكرست كل جهودها نحو تحقيق هذا الهدف.

تدهور أراضي الغابات



مشروع
PCPI/LCD

ويمكن لسكان القرى الواقعة في منطقة الساحل الأفريقي أن يحددوا متى بالضبط انهارت البيئة الطبيعية. ففي فترة الخمسينيات من القرن العشرين، كان الطقس ممطراً وكانت الأراضي خصبة، وكانت المحاصيل تنمو في أي نوع من أنواع التربة. ولم تكن ثمة حاجة لاختبار زراعة المناطق الواقعة أعالي النهر التي كانت تغمرها مياه الفيضان عادة. وقبل عام ١٩٧٠، كان السكان والماشية لا يشكلون عبئاً كبيراً على الموارد الطبيعية. وكان المزارعون في الشمال الغربي من بوركينا فاسو، وهي إحدى المناطق التي تضررت بشدة بسبب التصحر، يزرعون الحقل لمدة ثلاث أو أربع سنوات. ويقول المزارعون "كنا نترك الحقول بدون زراعة لمدة عشرة إلى خمسة عشر عاماً لننتقل لزراعة أراضٍ جديدة".

ولم يتوقع المزارعون أنه يأتي يوم يتعين عليهم فيه أن يتعلموا بناء المرشحات وحواجز المياه وقنوات تصريف المياه الفائضة والكمرات الحجرية بمحاذاة حدود الأرض، وعمل حفر للأسمدة الطبيعية، وإقامة الأسيجة وزراعة الممرات، وأن يتم كل ذلك في بيئة طبيعية واجتماعية وسياسية تتغير بشكل مطرد.

واليوم يقول الناس إنهم لا يستطيعون الاستغناء عن استخدام الأساليب الحديثة لتحويل أراضيهم القاحلة إلى أراضٍ خصبة. وإذا أراد مزارعو الساحل الأفريقي أن يطعموا أسرهم أو يرسلوا أولادهم إلى المدارس أو حتى مجرد البقاء على قيد الحياة، فيتعين عليهم اختبار وابتكار أساليب جديدة.

وفي يوليو ٢٠٠٤، عقدت تحت رعاية "مركز البحوث للتنمية الدولية - كندا"، ورشة عمل شبه إقليمية في مدينة "سالي بورتودال" على ساحل السنغال للتعلم من تجارب مكافحة التصحر في منطقة الساحل الأفريقي. وكانت هذه الورشة بمثابة فرصة للباحثين والمنظمات غير الحكومية وصانعي السياسات للنظر في جهود مكافحة الجفاف والتصحر خلال الثلاثين عاماً الماضية ودراسة نتائج الأبحاث وتحديد مسارات جديدة.

وكان "إنوسون بوتاريه"، مدير برامج بالمكتب الإقليمي لمركز البحوث للتنمية الدولية - كندا، لغرب ووسط أفريقيا في داكار، القوة المحركة لعقد هذا الاجتماع الذي ضم خبراء بارزين في منطقة غرب أفريقيا في مجال مكافحة التصحر.

أخشاب الأشجار -
المصدر الرئيسي للوقود
لمعظم الأسر في
المجتمعات الريفية -تباع
أيضاً على الطرق
الرئيسية.





مشروع PCP/LCD

طرق تغذية محسنة
للأغنام عززت سبل
عيش المرأة في بوركينا
فاسو

"الدرس الأهم من بين
الدروس المستفادة من
تجربة مكافحة التصحر
هو أن حملة التصحر
يجب أن تسيّر جنباً إلى
جنب مع حملة مكافحة
الفقر."

شعب الساحل الأفريقي في الجهود المبذولة لوقف
التصحر.

وقد أدت عملية إعداد خطط العمل الوطنية إلى حشد
جهود المنتفعين بكل فئاتهم، بدءاً بالمزارعين وحتى
صناع السياسات بما في ذلك المنظمات غير الحكومية
وجماعات المنتجين؛ كما أدت إلى انتشار جمعيات
المزارعين واللجان القروية وخطط الإدارة. بل إن هناك
أمثلة أيضاً على التعاون فيما بين دول الجنوب في
مجال إعداد "الخطط"، ومثال على ذلك، التعاون بين
السنغال وتشاد، وبوركينا فاسو وموريشيوس.

ورغم ذلك، وجد الباحثون صعوبة في تنفيذ تلك
"الخطط". ويقول "بيب ماوادي وادي"، مهندس المياه
والغابات ومنسق خطة العمل الوطنية لمكافحة التصحر
في السنغال "إن فرق البحث واجهت صعوبات عدة في
هذا المجال وكان من المستحيل الالتزام بالجدول
الزمني الأصلي".

وفي حالة بوركينا فاسو، أسفرت المساعدة الكندية عن
عدة نتائج ملموسة. على سبيل المثال، ابتكر الباحثون
المحليون طريقة لتقييم ما تحتويه مختلف البرامج من
خطوات فعلية تتعلق بمكافحة التصحر. ويقيم هذا
المؤشر الجهود المبذولة لمكافحة التصحر من قبل كل
جهاز إداري على مدار السنة. وقد استخدمت هذه
الطريقة أيضاً لوضع خريطة توضح التوزيع غير
المتساوي للإنفاق المالي على مستوى المحافظات في
بوركينا فاسو.

ويقول بوتاريه "مع الاتجاه الحالي إلى تبني أسلوب
"الأبحاث"، لم نعد نرى المعركة ضد التصحر، وأصبح
التحدي الذي يواجهنا الآن هو ضرورة إعادة هذه
المعركة إلى وضعها الطبيعي بين الأولويات الرئيسية
لسياسة التنمية. ولكن كيف نستطيع تحقيق ذلك؟"

ويرى "رينو دو بلان"، مسئول برامج بمركز البحوث
للتنمية الدولية - كندا، في أوتاوا، إن هناك تحدي
مزدوج وهو كيف يمكن إدراج الخطط الخاصة بمكافحة
التصحر ضمن استراتيجيات وبرامج التخفيف من حدة
الفقر للتكيف مع تغير المناخ".

وبالنسبة إلى مواجهة الجزء الأول من التحدي، يرى
"فيليب زونجرانا"، المدير الأسبق للصندوق الكندي
لدعم الاتفاقية الدولية لمكافحة التصحر، أن "الدرس
الأهم من بين الدروس المستفادة من تجربة مكافحة
التصحر هو أن حملة التصحر يجب أن تسيّر جنباً إلى
جنب مع حملة مكافحة الفقر. فليس هناك حداً فاصلاً
بين مكافحة التصحر ومكافحة الفقر". وفي الواقع من
شأن أنشطة مكافحة التصحر أن تزيد بسرعة من دخل
المزارعين؛ إذ أن هذه الأنشطة تعتمد على مشاركة
المزارعين الفقراء - ومثال ذلك، زراعة الخضروات
لبيعها في السوق المحلي، وتربية النحل، وإطعام الماشية
من بواقي الحصاد والعلف الطبيعي.

ويتمثل الجزء الثاني من التحدي في كيفية المزج بين
مكافحة التصحر وعملية التكيف مع تغير المناخ. ويبدو
ذلك واضحاً، لأن التصحر يتم تعريفه حالياً على أنه
مشكلة مناخية من صنع الإنسان.

كشف الحساب

ساعدت "شبكة مكافحة الجفاف في الساحل
الأفريقي" (التي تعرف باسم R3S) العلماء
في غرب أفريقيا على تقييم وتحديد أفضل
الطرق لمكافحة التصحر. وتضم الشبكة، التي
يتم تمويلها من "مركز البحوث للتنمية الدولية - كندا"
مع شركاء آخرين، خبراء تحت رعاية معهد الساحل
الأفريقي ومجلس غرب ووسط أفريقيا للبحوث والتنمية
الزراعية.

ومنذ قمة الأرض التي عقدت في ريو دي جانيرو في
الفترة ١-١٢ يونيو ١٩٩٢، وإقرار الاتفاقية الدولية
لمكافحة التصحر في ١٧ يونيو ١٩٩٤، عمل الخبراء
الزراعيين ومهندسو المياه والغابات وعلماء الاجتماع
وصناع السياسات وشركاء التنمية معاً على إشراك

”رغم استثمار مبالغ كبيرة، فإن التنمية التي تتفصل عن الثقافة المحلية تكون غير قادرة على التوصل إلى حلول كافية ودائمة للمشكلات التي يواجهها الناس.“

ويذكر الباحثون حالياً أهمية الموارد المتاحة لدى الأطراف الفاعلة المحلية ومعرفتهم التقنية التقليدية وقوتهم الفطرية في مجال مكافحة التصحر. وتخلص الأستاذة "نسيندوا جولين تراوري - جوي"، الباحثة في معهد البحوث البيئية والزراعية في "ببو ديولاسو" في بوركينافاسو، إلى أنه "رغم استثمار مبالغ كبيرة، فإن التنمية التي تتفصل عن الثقافة المحلية تكون غير قادرة على التوصل إلى حلول كافية ودائمة للمشكلات التي يواجهها الناس".

وفي أغلب الدول، نتج عن تمويل هذا العمل صعوبات عدة، وكانت الموازنات المخصصة لتمويل مختلف الجهود التي تتعلق بمكافحة التصحر ضئيلة. كما واجهت المؤسسات الوطنية، المسؤولة أيضاً عن التنسيق صعوبات مالية هائلة. ومن هذه المؤسسات، المجلس الوطني للبيئة والتنمية المستدامة في بوركينافاسو، والمجلس الأعلى للموارد الطبيعية والبيئة في السنغال. وحدث ذلك في الوقت الذي كان يستكمل فيه، في أغلب الدول، اعتماد برامج مكافحة التصحر.

ويضيف "وادي" قائلاً "كان الدعم المالي متواضعا إلى حد ما. و يتعارض هذا مع التزام الجهات المانحة بتطبيق القرار الخاص بالتدابير العاجلة المطلوب اتخاذها في أفريقيا، والتي بمقتضاها ستكتف هذه الجهات تنسيق أنشطتها وتقديم دعما حقيقيا في عملية إعداد خطة العمل الوطنية".

وقد قلت الاتصالات بين مختلف المنتفعين في العديد من الدول. ويشير الباحثون إلى مشكلات أخرى تتعلق بالتنسيق على المستويات الأعلى للحكومة، ولا سيما بين المدراء في المصالح الوزارية المعنية بالبيئة والزراعة والمياه والعناية بالحيوانات الداجنة. وفي بعض الدول، أضر أسلوب اللامركزية ببرامج مكافحة التصحر، إذ أنه ضاعف عدد الأطراف الفاعلة وأدى إلى زيادة تعقيد العمل الميداني.



مشروع PCP/LCD

الإجهاد البيئي الناشئ من جمع أخشاب الوقود بالقرب من إنجمينا، تشاد.

ساعدت المناقشات الجماعية مع الأهالي على تحديد المشكلات والحلول المحلية: النساء في لينيا، بوركينافاسو.



مشروع PCP/LCD



مشروع PCP/LCD

الموارد الرعوية
المستدامة والمدارة
بالمشاركة في بيئي -
بوركينافاسو.

القرى التي تركها الشباب
الذين يأملون في تحقيق
الرخاء الاقتصادي في
مكان آخر، والتي يقطنها
الآن كبار السن والنساء
المتزوجات والاطفال
الذين يجاربون من أجل
البقاء.

للجهود التي بذلت للتوسع في استخدام الأساليب التقنية أدى إلى ظهور المبادرات الفردية... وكلما ازداد عدد المزارعين المبتكرين، زاد عدد التجارب التي يقومون بها.

وغالبا ما يطمح ملاك الأراضي لاسترجاع أراضيهم التي تم إحيائها بفضل المستأجرين من المزارعين المبتكرين، وأدى ذلك إلى اندلاع ما يسمى "بحرب التلال". وقد أصبحت الآن هذه الأراضي، التي كانت قد تم تأجيرها إلى النساء والشباب بسبب انخفاض إنتاجيتها، مطمعا للجميع، لأن المزارعين أثبتوا أنها أفضل أراضي يمكن فيها تطبيق نظام "زاي".

ومع تغير المناخ، يؤدي إبداع الباحثين والمزارعين إلى إيجاد حلول جديدة تترتب عليها بدورها تحديات جديدة، ومثال على ذلك، مشكلة عدم عدالة توزيع ملكية الأراضي. وبدءاً بالمزارع البسيط وانتهاءً بصانع السياسات، يجب أن يتعلم الناس أفضل الحلول ويناقشونها.

ويعصر الباحثون على ضرورة زيادة الضغط السياسي، والضغط على صانعي القرار في الأجهزة الحكومية والهيئات التشريعية الوطنية. ومن شأن النشاطات الميدانية وحملات التوعية التي تستهدف عامة الناس أن تساعد في هذا الصدد. ويأسف "ماوادي" لعدم تعبئة الفنانين والمطربين للمساعدة في توعية الناس في الدول التي تأثرت بشدة بالجفاف بشأن الاتفاقية الدولية ذات الصلة. ويقول "يتعين علينا أن نضع تلك الفقة في الاعتبار في الجولة القادمة من الأنشطة".

إتجاهات جديدة واعدة

في معرض حديثه عن التجربة السنغالية، يقول "وادي" إن "التعاون بين مختلف فئات المنتفعين خلق جوا من الثقة شجعها على التعبير عن نفسها بحرية أكثر وتحليل مسؤولياتها عن تدهور الموارد الطبيعية استنادا إلى ما حدث على أرض الواقع". ويضيف "وادي" قائلاً "وبالتالي، يجب أن نساعد الأشخاص العاملين في هذا المجال لتعزيز الممارسات الجيدة التي أثبتت نجاحاً في كل مكان".

وثمة إجماع على الحاجة لدعم البحوث حول الأساليب التكنولوجية الجديدة والبديلة القائمة على المعرفة الذاتية للمزارعين المحليين مع الأخذ في الاعتبار احتياجاتهم التي لها الأولوية. ويقول "الكسندر لالبا"، عالم الحيوانات والاقتصاد بمعهد البحوث البيئية والزراعية، "إننا نلاحظ أن الابتكارات المقترحة من الخارج لا يؤخذ بها حتى مع ادراك المزارعين أنها يمكن أن تساعدهم في حل المشكلات التي يواجهونها بشكل دائم".

ويرى "لالبا" إن من الضروري وجود نوع من الانسجام بين الأساليب التقنية المبتكرة والممارسات التقليدية. ومثال جيد على ذلك، استخدام نظام "زاي" Zai المطور للحفاظ على المياه والتربة، والذي يعتبر من النظم التقليدية المستخدمة في مالي لتجهيز التربة. ووفقا لهذا النظام، يتم عمل منخفضات صغيرة هلالية الشكل لاحتجاز المياه الفائضة ثم زرع بذور الذرة فيها. وقد أدخل المزارعون المبتكرون تحسينات على نظام "زاي" بإضافة مزيج من الروث وأوراق الشجر الميتة أو السماد البلدي، مع تحسين ومعالجة البذور. ولأنه مبادرة حقيقية نابعة من المزارعين أنفسهم، أشعل نظام "زاي" حماسهم وشجعهم على تطبيق الأساليب التقنية الجديدة، والآن ينتشر نظام "زاي" في جميع أنحاء بوركينافاسو وربما خارجها أيضاً.

وفي مدينة "سالي بورتودال"، أكد أيضاً الباحثون على أهمية الموازنة بين الاهتمامات الفردية والجماعية. ويصف "الكسندر لالبا" القرى التي تركها الشباب الذين يأملون في تحقيق الرخاء الاقتصادي في مكان آخر، والتي يقطنها الآن كبار السن والنساء المتزوجات والاطفال الذين يجاربون من أجل البقاء. ويقول لالبا "في هذه الأوضاع، تكون هناك فرصة أكبر لقبول المبادرات الفردية".

ويؤكد زملاؤه مثل "تراوري-جوي" و "جين سيبيري زوندي" و"إدويج ليتشون" هذه الرؤية قائلين "إن الفشل المتواصل



مشروع PCP/LCD

تعلم استخدام التصوير
الفوتوغرافي كأداة للاتصال
في سوال، تشاد.

أعد هذا الموجز باتريك كافاناغ على أساس دراسة
حالة من إعداد مامي علي كونتي، وإينوسنت بوتاري.

بانتظار تحرك الشركاء الماليين

مبادرة "برنامج الفقر الريفي والبيئة" برنامج عالمي أطلقه مركز البحوث للتنمية الدولية - كندا في عام ٢٠٠٥ لدعم البحوث التي تلبي احتياجات القرويين الفقراء الذين يعيشون في البيئات الضعيفة أو المتدهورة في أفريقيا وآسيا وأمريكا الجنوبية ودول الكاريبي والشرق الأوسط. وتهدف هذه المبادرة إلى تعزيز المؤسسات والسياسات والممارسات التي تعزز الأمن الغذائي والمائي ودخل الأفراد.

ولمزيد من المعلومات انظر موقع:
www.idrc.ca/rpe

رغم تحقيق عدد من النجاحات في مجال مكافحة التصحر وإدارة الموارد الطبيعية، فما زال هناك الكثير الذي ينبغي فعله. وأملا في تعزيز إنجازات الماضي، وجه الباحثون التماسا إلى الشركاء الماليين طلبوا منهم فيه "المزيد من الدعم الإيجابي للمنظمات غير الحكومية العاملة في هذا المجال، والمؤسسات البحثية الوطنية، والمجتمع المدني بهدف إعداد آليات للضغط على صانعي السياسات وإقناعهم بأهمية الدعم".

مركز البحوث للتنمية الدولية - كندا هو إحدى المؤسسات الدولية الرائدة في إنتاج وتطبيق المعرفة الجديدة بغرض الارتقاء إلى مستوى التحديات الحالية للتنمية الدولية. ولقد عمل المركز عن كثب ولأكثر من ٢٥ عاما مع الباحثين من الدول النامية في سعيهم للوصول إلى الوسائل التي تؤدي إلى بناء مجتمعات أفضل صحة وأكثر عدالة وازدهارا.

مركز البحوث للتنمية الدولية - كندا

برنامج الفقر الريفي والبيئة

P.O.Box. 8500

Ottawa, Ontario, Canada, K1G 3H9

هاتف: +1-613-236-6162

فاكس: +1-613-567-7749

بريد إلكتروني: rpe@idrc.ca